المقاربة التّوليديّة التّحويليّة للجملة العربيّة

The generative and transformative approach of the Arabic sentence

أ. بن ساسي بلقـنـدوز♥

أ. مــذبـوحــي محمّد♥

تاريخ الاستلام: 14-02-2020 تاريخ القبــول: 07-06-2020

ملخّص: يمسّ هذا البحث جانبا مهمّا من الدّراسة اللّسانيّة في جانبها التّنظيري (النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة)، ويكرّس جانبا تطبيقيّا مهمّا، وهو في وصف اللّسان العربيّ، ممثّلا في أهمّ مكوناته، وهي الجملة، حيث يحاول الباحث من خلاله مقاربة الدّرس اللغوي العربي مقاربة لسانيّة توليديّة تحويليّة، بغيّة محاولة الإجابة عن إشكاليّة الدّراسة التي مفادها:

ما مدى توافق النّحو التّوليدي التّحويلي مع النّحو العربي تنظيرا، وما هي آليات تطبيق المنهج التّوليدي التّحويلي على اللسان العربيّ؟

توصّل الباحث إلى نتائج مهمّة، أهمّها:

– الإجراء التّطبيقي للنحو العربيّ على الجملة العربيّة من حذف، وتقديم وتأخير وزيادة، وغيرها، ما هو سوى تطبيق لقوانين تحويليّة، هي من مبادئ النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة.

الكلمات المفتاحيّة: الجملة العربيّة؛ المقاربة التّوليديّة التّحويليّة.

♥ جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعبّاس، الجزائر، البريد الإلكتروني: bensassi1belguendouz@gmail.com (المؤلّف المرسل).

♥ جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعبّاس، الجزائر، البريد الإلكتروني: omaryalili@yahoo.fr

Abstract: My research addresses an important aspect of linguistics in its theoretical side, of which it devotes an important practical aspect for the description of the Arabic language, presented by the sentence. The researcher tries to approach the Arabic linguistic course -including grammar and rhetoric- a generative and transformative linguistic approach, in order to answer the following problem: what is the degree of compatibility between generative and transformative grammar with Arabic grammar a theoretical aspect? and what are the mechanisms for applying the generative and transformative method to Arabic grammar?

The researcher reached important results: The applied procedure that distinguishes Arabic grammar over the Arabic sentence, including deletion, submission, delay and increase, and others, is nothing but application of transformative laws, which are among the principles of transformative generative theory.

Key words: the arabic sentence; the generative and transformative approach.

مقدّمة: تميزت بداية القرن العشرين بظهور نظريّة جديدة في اللغة، على يد العالم السّويسري فاردیناند دي سوسير؛ الذي أحدث ثورة في المجال اللغويّ، بتبنيه المنهج العلمي في دراسة الظّاهرة اللغويّة دراسة موضوعيّة؛ اعتمدت الآنيّة وطرحت التّاريخيّة، واعتمدت الوصف، ورفضت المعيار والقاعدة، فراحت تقرأ النّصوص قراءة نسقيّة داخليّة.

على خلاف هذه النّظريّة البنيويّة؛ ذات الأسس الفلسفيّة السّلوكيّة؛ التي تنظر إلى اللغة نظرة آليّة، ظهرت النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة، بزعامة العالم نعوم تشومسكي؛ الذي وجّه نقدا لاذعا للمنهج الوصفي، بإهماله المعنى من جهة، واستبعاده للمتكلم من جهة أخرى، سعى–تشومسكي–إلى إقامة نظريّة عامّة للغة، بمنهج توليدي تحويلي، تستمد أصولها من الفلسفة العقليّة.

لم يشذّ النّحو العربي عن أسس وأفكار النّحو التّوليدي التّحويلي، بل إنّنا نلفى النّحويين والبلاغيين العرب القدامى ساروا على هذا المنوال، حيث اشتملت مدوناتهم على فكر توليدي، تبلور في نظريّة الأصل والفرع، وتجسد في تطبيقات تحويليّة مسّت التّقديم والتّأخير والحذف والاستبدال، وغيرها، وهي أسس تحويليّة في المنهج التّوليدي التّحويلي.

تكمن أهميّة موضوع بحثي هذا، في الجانب التّطبيقي للنحو التّوليدي التّحويلي على اللسان العربي، حيث تسلط الدّراسة فيه على أهميّة النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة ومدى ملاءمتها للتطبيق على اللغة العربيّة، لما يشترك فيه النّحو العربي مع النّحو التّوليدي في اهتمامهما بالتّركيب، والمرجعيّات الفكريّة العقليّة المتقاربة بينهما إلى حدّ بعيد.

وبحثي هذا؛ الموسوم بـ "**الجملة العربيّة مقاربة توليديّة تحويليّة**" يمسّ جانبا مهمّا من الدّراسة اللّسانيّة في جانبها التّنظيري (النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة)، ويكرّس جانبا تطبيقيّا مهمّا، وهو في وصف اللّسان العربيّ، ممثّلا في أهمّ ركائزه، وهو النّحو العربيّ، ويحاول الباحث من خلاله مقاربة الدّرس اللغوي العربي ممثلا في النّحو والبلاغة، مقاربة لسانيّة توليديّة تحويليّة، بانتهاج المنهجين: المنهج الوصفي والمنهج التّوليدي التّحويلي، بغيّة محاولة الإجابة عن إشكاليّة الدّراسة التي مفادها:

ما مدى توافق النّحو التّوليدي التّحويلي مع النّحو العربيّ تنظيرا، وما هي آليات تطبيق المنهج التّوليدي التّحويلي على اللسان العربيّ؟

تمهيد: يرى تشومسكي أن اللغة ليست ارتباطا شرطيا كما هو الحال عند الحيوان ولكن اللغة قدرة إبداعيّة، أو قدرة غير محدودة، وأنّه لا بد للنظريّة النّحويّة أن تعكس قدرة جميع المتكلمين بلغة ما على التّحكم في إنتاج وفهم جمل لم يسمعوا بها قط من قبل[1](حسام البهنساوي، د.ت).

يظهر رفض تشومسكي للمذهب السّلوكي عموما، والمنهج الوصفي على الخصوص، لأنّ البحث اللغوي فيه يتركز على وصف السّطح اللغويّ، بمقياسي المنبه والاستجابة؛ أي أن البحث اللغوي يكاد يعامل الإنسان بوصفه آلة تتحرك بحسب القوانين التي تحددها مواقف معينة[2](عبده الرّاجحي 1986).

والإنسان ليس آلة، وليس حيوانا؛ لأنّه يتميز باللغة؛ التي هي أهم الجوانب الحيويّة في النّشاط الإنساني، إذ ليس من المعقول أن تكون لها هذه الأهميّة، ثم تتحول إلى مجرد تراكيب يسعى الوصفيون إلى تجريدها من المعنى، بل ينبغي أن تعيننا الدّراسة اللغويّة على فهم الطّبيعة البشريّة[3](عبده الرّاجحي1986).

لقد تغير اتجاه البحث اللغوي مع تشومسكي من المذهب السّلوكي إلى المذهب العقلي الدّيكارتي، ومن المنهج البنيوي الوصفي، إلى المنهج التّوليدي التّحويلي لتتبلور نظريّة لغويّة جديدة؛ هي النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة، نظريّة تعنى بالتّركيب اللغوي توليدا وتحويلا، وتنتقل باللغة من مرحلة الوصف إلى مرحلة التّفسير.

أوّلا: النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة.

1-مراحل نشأة النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة:

1-1-المرحلة الأولى: مرحلة البنى التّركيبيّة (1957-1965): ركز تشومسكي خلال هذه الفترة على القضايا التّاليّة:

- الخاصيّة الإبداعيّة للغة؛ التي هي: "استعداد المتكلم التّلقائي لفهم وإنتاج عدد لا نهائي من الجمل التي لم يسبق له تلفظها أو سماعها"[4] (Jean Dubois 1994 et autre) باستعمال عدد محدود من العلامات اللسانيّة؛

- الحدس اللغوي: وهو القدرة على الحكم اللغوي عند المتكلم، بتمييزه بين مجموعة من الجمل المترادفة في المعنى أو الجمل ذات اللبس اللغوي[5](مازن الوعر،1988). وبهذا يكون تشومسكي قد أعاد إلى المتكلم اعتباره ومكانته في التّعبير كما رد إليه المعنى؛

- نقد تشومسكي الاتجاه البنيوي الذي اقتصر على وصف اللغة دون تفسيرها؛

-اقترح تشومسكي نماذج نحويّة لوصف اللغة وتفسيرها، منها[6](مختار درقاوي 2014): •نحو المواقع المحدودة •نحو بنيّة العبارات •النّحو التّحويلي.

المرحلة الثّانيّة: النّظريّة النّموذجيّة: (1965-1970):

تبدأ هذه المرحلة بظهور كتاب تشومسكي: (مظاهر النّظريّة التّركيبيّة)، وتعد مرحلة توضيح لسابقتها وتوسيع لأفكارها ومقترحاتها، لتضمنها مبادئ النّظريّة

التّوليديّة التّحويليّة، وهي: •الكفاءة والأداء •البنيّة العميقة والبنيّة السّطحيّة •المكون الدّلالي.

المرحلة الثّالثّة: النّظريّة النّموذجيّة الموسعة: (ما بعد 1970):

تميزت هذه المرحلة بما يلي:

–إسناد المكون الدّلالي إلى البنيتين العميقة والسّطحيّة معا، بعد ما كان مسندا سابقا إلى البنيّة العميقة فحسب؛

–الاقتصاد في استخدام القوانين التّحويليّة؛

–ارتباط المكونين الدّلالي والفونولوجي بالمكون التّركيبي على مستوى البنيّة السّطحيّة.

2–ركائز وأسس النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة:

2–1 الكفاية والإنجاز اللغوي:

2–1–أ–الكفاية اللغويّة أو الملكة (competence): هي: "المعرفة اللاواعيّة والضّمنيّة بقواعد اللغة، التي يكتسبها المتكلم منذ طفولته، وتبقى راسخة في ذهنه، فتمكنه من إنتاج العدد غير المحدود من الجمل الجديدة، التي لم يسمعها من قبل، إنتاجا ابتكاريا، لا مجرد تقليد ساكن، ثم التّمييز بين ما هو سليم نحويا وبين غيره"[7](شفيقة العلوي 2004).

فالكفاية اللغويّة مشتركة بين البشر عامة في جميع الالسّنة؛ إذ هي انعكاس مباشر للتفكير، تتجسد من خلال الأداء الكلامي.

2–1–ب–الأداء الكلامي(performance): هو: "الممارسة الفعليّة والآنيّة لهذه الملكة، وإخراج لنظامها اللغوي الضّمني من حيزه اللاشعوري إلى الحيز الإدراكي الفعال في ظروف ماديّة متنوعة"[8](شفيقة العلوي 2004).

فالكفاية اللغويّة بهذا، ضمنيّة، والأداء اللغوي هو فعل شعوري مدرك، مادي ظاهر، معبر عنها، وبهذا التّمييز بين الكفاءة اللغويّة والإنجاز الكلامي، قسم تشومسكي بنيّة الجملة –باعتبار موضوع الدّراسة–إلى بنيتين: بنيّة عميقة وبنيّة سطحيّة.

2-2-أ-البنيّة العميقة (deep structure): "هي الأساس الذّهني لمعنى معين، يوجد في الذّهن ويرتبط بتركيب جملي أصولي يكون هذا التّركيب رمزا لذلك المعنى وتجسيدا له"[9](خليل أحمد عمايرة،1984).

فهي التّركيب الباطني المجرد الموجود في ذهن المتكلم وجودا فطريا، وهي تتوافق بهذا والكفاية اللغويّة.

2-2-ب-البنيّة السّطحيّة (surface structure): هي:"الكلام المنطوق المرتبط ارتباطا وثيقا بالقواعد التّحويليّة في اللغة. فبها يتم انتظام الكلمات في جمل يعبر بها المتكلم عن علاقة ذهنيّة مجردة (معنى) بكلمات محسوسة منطوقة"[10](خليل أحمد عمايرة 1986).

فالبنيّة السّطحيّة تعتبر أداء كلاميا فرديا، وهي ذلك التّلفظ الكلامي الصّوتي، تعبر عن كفاية لغويّة مثلتها البنيّة العميقة المشتركة بين عامة المتكلمين باللسان الواحد. و"هي التي تتمثل في التّركيب التّسلسلي السّطحي للوحدات الكلاميّة الماديّة المنطوقة أو المكتوبة إنها التّفسير الصّوتي للجملة [11](شفيقة العلوي،2004).

2-3-الإبداعيّة (creativity): "الإبداعيّة هي استعمال اللغة استعمالا ابتكاريا، تجدديا لا مجرد تقليد سلبي لقواعده...إنها تتمثل في القدرة على الإنتاج غير المحدود للجمل انطلاقا من المحصور من الكلمات والقواعد الثّابتة في ذهن المتكلم"[12](شفيقة العلوي،2004).

فكرة الإبداعيّة تعد أهم أسس النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة، التي تعبر بها عن لا نهائيّة اللغة وطبيعتها الخلاقة، لتصل بنا إلى مبدإ هام، هو مبدأ التّوليد.

2-4-التّوليد (generation): "إنّ عمليّة الإنتاج لجمل اللغة كلها منوطة في الأساس بالقواعد التّوليديّة القائمة ضمن الكفاية اللغويّة، والتي تؤدي في حال العمل بها إلى إنتاج الجمل التي بإمكان استعمالها في اللغة أو تعدادها"[13](ميشال زكريا، 1986).

والقاعدة التّوليديّة هي جزء من جهاز توليد الجمل، الذي ينحصر مفهومه في ضبط كل الجمل التي يحتمل وجودها في اللغة، وتتخذ هذه القاعدة شكل قاعدة إعادة

كتابة، أي؛ إعادة كتابة رمز يشير إلى عنصر معين من عناصر الكلام برمز آخر أو بعدة رموز أخرى.

تشتمل الجملة على ركن فعلي مؤلف من فعل وفاعل ومفعول به، تمثل بالقاعدة التّاليّة [14](ميشال زكريا،1986):

ركن فعلي ــــــــــــــ فعل +ركن اسمي(فاعل)+ركن اسمي (مفعول به).

ويمكننا استبدال ركن اسمي بواسطة القاعدة التّاليّة: ركن اسمي ــــــــــــــ تعريف+اسم.

2-5-التّحويل (transformation): "إنّ أي قواعد تعطي جملة في اللغة تركيبا باطنيا وتركيبا ظاهريا وتربط بين التّركيبين بنظام خاص يمكن أن تكون قواعد تحويليّة ولو لم تصف نفسها بهذا الوصف"[15](محمّد علي الخولي،1999).

اقترح تشومسكي أن يكون شكل القواعد على الشّكل التّالي[16](ميشال زكريا،1986):

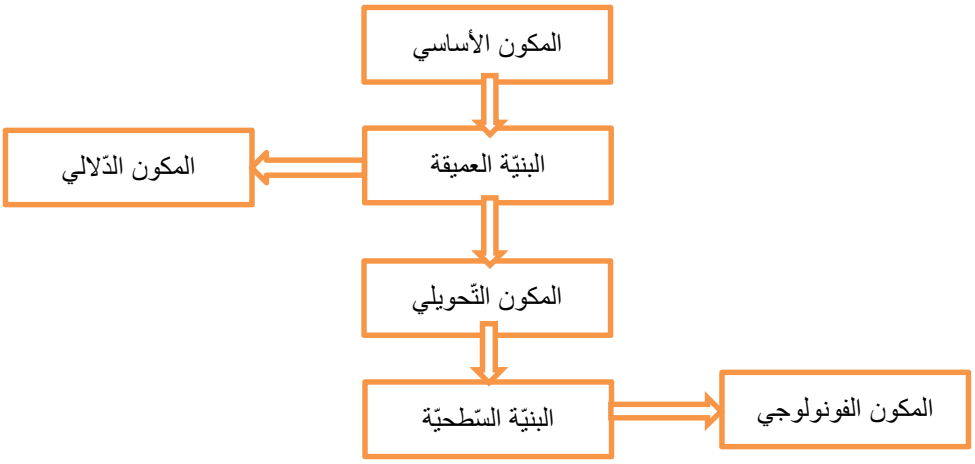

للقواعد التّحويليّة أربعة أنماط من القوانين[17](محمّد علي الخولي،1999):

أ-قوانين التّركيب الأساس أو قوانين التّركيب الباطني: وهي قوانين تجريبيّة ذات صبغة شموليّة.

ب-قوانين مفرداتيّة: تقوم بوصف مفردات اللغة من حيث معناها ومبناها.

ج–قوانين تحويليّة: وهي التي يتم بموجبها تحويل التّراكيب الباطنيّة إلى تراكيب ظاهريّة.

د–قوانين مورفيميّة صوتيّة: هي القوانين التي تضع الكلمات التي في التّركيب الظّاهري بصيغتها النّهائيّة من ناحيّة صوتيّة.

تكمن مهمة القوانين التّحويليّة في تحويل البنيّة العميقة المجردة إلى البنيّة السّطحيّة المحسوسة التي تجسد معنى الجملة وشكلها التّركيبي النّهائي.

والتّحويل هو وسيلة للوصف والتّحليل والتّفسير، وعمليات التّحويل تقلب البنيّة العميقة إلى بنيّة ظاهرة دون أن تمس بالتّأويل الدّلالي الذي يجري في مستوى البنيّة العميقة[18](رابح بومعزة،2008)، والرّبط بين التّركيب الظّاهري والباطني هو التّحويل[19](شفيقة العلوي،2004).

لنأخذ المثال التّالي:

–يناقش الباحث أمام اللجنة العلميّة أطروحته التي حضّرها.

هذه الجملة المنطوقة/المكتوبة هي بنيّة سطحيّة، تتكون في الأصل من جمل أصوليّة؛ تمثل بنيات عميقة، تجسد كل واحدة منها معنى عقليا في ذهن المتكلم وهذه الجمل هي:

–يناقش الباحث أطروحته؛

–يناقش الباحث أمام اللجنة العلميّة أطروحته؛

–يناقش الباحث أطروحته التي حضرها؛

–حضّر الباحث أطروحته.

الجمل الأربع في مجموعها تمثل علاقة بين نقاط رئيسيّة (الباحث، الأطروحة اللجنة العلميّة)، وهي تمثل البنيات العميقة التي تتجسد ببنيّة سطحيّة متألفة من الجمل النّواة الأربع في شكل كلمات متتابعة منطوقة، لتكون الجملة المحولة[20](خليل أحمد عمايرة،1984) يناقش الباحث أمام اللجنة العلميّة أطروحته التي حضّرها.

2–5–1–أقسام التّحويل: تصنف القوانين التّحويليّة إلى قسمين: اختياريّة (جوازيّة)، وإجباريّة (وجوبيّة).

2-5-1-أ-التّحويلات الاختياريّة: هي التّحويلات التي لا تخل بالقاعدة التّركيبيّة، ويكون تطبيقها جوازا[21](محمّد علي الخولي،1998). وتتضمن قواعد البناء للمجهول، وقواعد النّفي، والاستفهام، والحذف والزّيادة، وتأتي غالبا لأغراض بلاغيّة.

2-5-1-ب-التّحويلات الإجباريّة: هي تحويلات وجوبيّة؛ بدونها تصبح الجملة إما غير قواعديّة، أو تنتقل إلى بنيّة عميقة أخرى، فهي إذن التّحويلات التي يجب تطبيقها على التّراكيب لتكوين جملة صحيحة[22](محمّد علي الخولي،1998). ومن هذه التّحويلات: تقديم اسم الاستفهام، ومواضع تقديم المفعول به على الفاعل.

2-5-2-أنواع القواعد التّحويليّة:

2-5-2-أ-التّرتيب (permutation): يتمثل في التّقديم والتّأخير، أي إعادة ترتيب عناصر الجملة بإحلال عنصر مكان آخر[23](حليمة أحمد عمايرة 2006).

كما تبينه المعادلة الرّياضيّة: أ+ب ⟵ ب+أ

2-5-2-ب-الزّيادة (addition): تتمثل في زيادة عنصر جديد لم يكن له وجود في التّركيب الأصولي. نمثل له بالمعادلة الرّياضيّة:

أ ⟵ أ+ب ، ب ≠ أ.

أي أنّ (أ) تحول إلى (أ+ب)، بحيث أنّ (ب) غير متضمنة في (أ)[24](حليمة أحمد عمايرة،2006)، فالبنيّة السّطحيّة تزيد في منطوقها عن البنيّة العميقة.

2-5-2-ج-الحذف (deletion): تتحول خلال هذا التّحويل البنيّة العميقة إلى بنيّة سطحيّة ينقص منطوقها عن منطوق البنيّة العميقة[25](حليمة أحمد عمايرة،2006)، ونمثلها بالمعادلة: أ+ب ⟵ Ø+ب.

يحدث هذا التّحويل لأجل الحصول على دلالات كثيرة، بلاغيّة منها بخاصة.

2-5-2-د-الاستبدال أو الإحلال (replacement): يكون بإحلال عنصر مكان عنصر آخر متضمنا معناه مع إضافة دلالة جديدة [26](حليمة أحمد عمايرة،2006)، ونمثل له بالمعادلة:

أ ⟵ ب، إحلال العنصر (ب) محل العنصر (أ).

2-5-2-هـ-التّضييق أو الاختصار (reduction):

هو حذف عنصر من عناصر التّركيب متضمنا في العنصر الباقي[27](حليمة أحمد عمايرة،2006)، كما في المعادلة:

أ+ب ⟵ ج، وهي عمليّة دمج العنصر (أ) في العنصر (ب) ليكونا عنصرا واحدا هو (ج).

2-5-2-و-التّوسيع (expansion): يتمثل في جعل مجال عنصر من عناصر الجملة أكثر اتساعا مما كان عليه قبل التّحويل[28](حليمة أحمد عمايرة،2006)، ويعبر عنه التّحويليون بالقانون: أ ⟵ ب+ج.

2-5-2-ز-النّسخ (copying):

يتم من خلال هذا التّحويل نسخ مكون من مكونات التّركيب مع إعادة كتابته وتكراره، ويأتي المكون المنسوخ في موضع متقدم في البنيّة السّطحيّة، ثم يأتي بعده المكونان الأصوليان[29](حسام البهنساوي، د.ت).

أ+ب ⟵ ب+أ+ب.

2-5-2-ح-التّقديم (franting):

يتأتى هذا التّحويل بتقديم مكون على آخر في التّرتيب[30](حسام البهنساوي، د.ت). كما يلي: أ+ب+ج ⟵ب+أ+ج

ثانيا: المقاربة التّوليديّة التّحويليّة للجملة العربيّة: لعل أوّل من ذكر مصطلح التّحويل صراحة عند النّحاة العرب، هو الأشموني، حيث قال: "والتّمييز فيه محوّل عن الفاعل...والتّمييز فيه محول عن المفعول"، وقدم شرحا لطريقة التّحويل المتبعة في تحويل جملة إلى أخرى لغرض يريده المتكلم[31](رابح بومعزة،2008).

يمكن مقاربتها توليديا تحويليا كما يلي:

البنيّة العميقة	قاعدة التّحويل	البنيّة السّطحيّة	الإعراب
اشتعل شيبُ الرّأس فجّرنا عيونَ الأرض	إسناد الفعل إلى غير فاعله	اشتعل الرّأسُ شيبًا	شيبًا: تمييز محوّل عن فاعل
	إسناد الفعل إلى غير مفعوله	فجّرنا الأرضَ عيونًا	عيونًا: تمييز محوّل عن مفعول

1-الأصالة والفرعيّة: قرر النّحاة العرب أصلا للمشتقات، وأنّ النّكرة أصل والمعرفة فرع، والمفرد أصل للجمع، والمذكر أصل للمؤنث...[32](عبده الرّاجحي 1986)، والأصل والفرع يماثلان البنيّة العميقة والبنيّة السّطحيّة لدى التّوليديين التّحويليين، وأصحاب المنهج التّوليدي التّحويلي يرون أنّ قضيّة الأصالة والفرعيّة هي قضيّة أساسيّة في فهم البنيّة العميقة، وتحولها إلى بنيّة السّطح[33](محمّد حماسة عبد اللطيف،1990).

2-العامل: نظريّة العامل هي أساس من أسس النّحو العربي، يظهر في النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة فيما يسمى بالرّبط الإحالي، الذي بفضله أصبحت القواعد التّحويليّة قادرة على إعطاء التّفسير المتكامل، والتّحليل اللغوي الشّامل للتراكيب النّحويّة في بنيتها السّطحيّة دون اللجوء إلى قواعد التّحويل في الأبنيّة العميقة[34](ممدوح عبد الرّحمن،1999).

"والتّحليل النّحوي عند التّحويليين يكاد يتجه إلى تصنيف العناصر النّظميّة وفقا لوقوعها تحت تأثير عوامل معينة"[35](عبده الرّاجحي،1986).

3-أقسام التّحويلات:

3-أ-التّحويلات الاختياريّة (الجوازيّة): "هي تحويلات لا تخل بالقاعدة التّركيبيّة عند إجرائها أو عدم إجرائها، وإنما تكون لأغراض بلاغيّة، أي؛ هي التّحويلات التي يكون تطبيقها جوازا"[36](محمّد علي الخولي،1998).

ففي قوله تعالى:﴿**وَلَئِن سَالتَّهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾ الزّمر 38.

فجملة: (يقولن الله) جملة تحويليّة، القصد منها الإيجاز[37](خليل أحمد عمايرة،1984)، والأصل في غير كلام الله تعالى: يقولن خلقهنّ الله، فحُذف الفعل من الجملة التي تمثل البنيّة السّطحيّة.

تأخذ هذه التّحويلات صورا متعددة في اللغة العربيّة، منها:

-تقديم الخبر على المبتدإ:

الأصل في الجملة الاسميّة أن يأتي المبتدأ أوّلا ويتبعه الخبر، ولكن يجوز تقدم الخبر على المبتدإ.

يقول ابن مالك:

وَالْأَصْلُ فِي الْأَخْبَارِ أَنْ تُؤَخَّرَا وَجَوَّزُوا التَّقْدِيمَ إِذْ لَا ضَرَرَا[38](ابن عقيل، د.ت).

ومثال هذا قولنا: زيدٌ قادمٌ، وقادمٌ زيدٌ، اللتان نمثّلهما كما يلي:

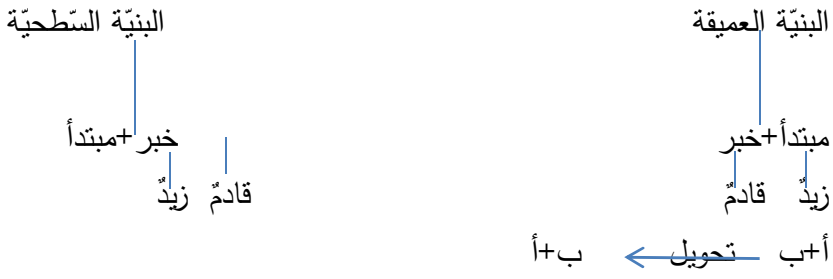

ومثله في الجملة الفعليّة:

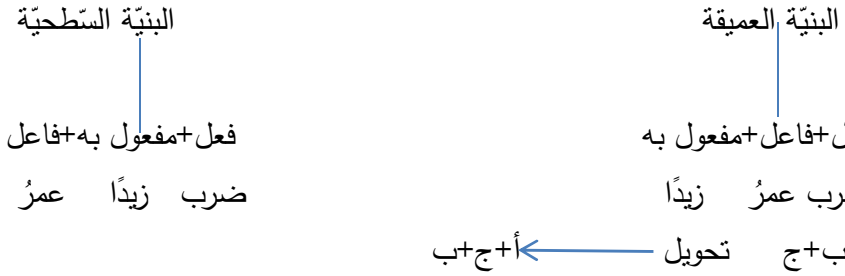

3-ب-التّحويلات الإجباريّة (الوجوبيّة): "هي تحويلات تفرضها قواعد البنيّة التّركيبيّة"[39](محمّد علي الخولي،1998)، فمنها: التّقديم الإجباري لاسم الاستفهام ومواضع تقديم المفعول به عن الفاعل، وتقديم المبتدإ وجوبا، وتقديم الخبر عليه إجباريا، وحذف المبتدأ وجوبا...وغيرها.

نمثّل لها بمواضع وجوب تقديم الخبر، وهي أربعة: -أن يكون المبتدأ نكرة غير مسوغة، والخبر جار ومجرور، نحو: عندي درهمٌ، -أن يشتمل المبتدأ على ضمير يعود على الخبر، نحو: في الدّار صاحبها، -أن يكون الخبر مما يستوجب التّصدير كأسماء الاستفهام: أين زيدٌ؟ -أن يحصر المبتدأ في الخبر: ما محمّد إلاّ رسولٌ.

4-أنواع التّحويلات:

4-أ-التّرتيب: يعرف عند النّحاة والبلاغيين العرب بمصطلح: التّقديم والتّأخير وهو: "نقل لفظ من رتبته في نظام الجملة العربيّة، فرتبة الفاعل قبل المفعول، والمبتدإ قبل الخبر، فإذا جاء الكلام على عكس ذلك، قيل أنّ فيه تقديما وتأخيرا"[40](محمّد حماسة عبد اللطيف،1990).

والتّقديم والتّأخير يتعلقان بالمعنى الكامن في ذهن المتكلم، فالألفاظ في النّطق تأتي مرتبة على حسب ترتيب المعاني في الذّهن، "فإذا وجب لمعنى أن يكون أوّلا في النّفس وجب للفظ الدّال عليه أن يكون مثله أولا في النّطق"[41](عبد القاهر الجرجاني د.ت).

نوضح ما سبق بالمثال التّالي:

-أنجز الباحث بحثا قيما: تعد هذه الجملة جملة فعليّة خبريّة، لا تركيز فيها على أي عنصر من عناصرها، فجاءت مرتبة حسب التّرتيب المعهود على حسب الرّتبة.

إذا أراد المتكلم نقل الخبر هذا بالتّركيز على جزء من أجزائه لإظهار عنايته واهتمامه به، فإنه يقدم ذلك العنصر، فيدرك السّامع المعنى الجديد، وتصبح الجملة تحويليّة[42](خليل أحمد عمايرة، 1984)، على الشّكل التّالي:

-بحثا قيما أنجز الباحث.

وهذا التّحويل في العربيّة يجئ لأغراض بلاغيّة، منها:

-التّخصيص: في قول القائل: إياك أقصد ⟵ تقديم المفعول به على الفعل والفاعل.

-الفخر: في القول: تميمي أنا ⟵ تقديم الخبر على المبتدإ.

-التّعجب: في قولنا: دينارا أعطى خالدّ! ⟵ تقديم المفعول به على الفعل والفاعل.

وهذا ما يجمله الجرجاني في حديثه عن التّقديم: "هو باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التّصرف بعيد الغاية، لا يزال يفتر لكلام عن بديعة ويفضي لديك موقعه، ثم تنظر، فتجد سبب أن راقك ولطف عندك إنّ أدق فيه شيء وحول اللفظ من مكان إلى مكان"[43](عبد القاهر الجرجاني، د.ت).

4-ب-الحذف: يصفه الجرجاني بقوله: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ عجيب الأمر، شبيه بالسّحر، فإنّك ترى به ترك الذّكر أفصح من الذّكر، والصّمت عند الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[44](عبد القاهر الجرجاني، د.ت). والحذف عنصر تحويلي، أي نقص في الجملة الأصليّة التّوليديّة.

4-ب-1-أقسام الحذف:

4-ب-1-1-حذف الحرف:

في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ**﴾ يوسف85.

الأصل ما تفتأ، وحذف الحرف (ما).

4-ب-1-2-حذف الاسم:

في قوله تعالى: ﴿**وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ، نَارٌ حَامِيَةٌ**﴾ القارعة 10-11.

أصلها: هيَ نارٌ، فحذف الاسم؛ الضّمير (هي).

ومثله في قوله تعالى: ﴿**أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا**﴾ الرّعد 35.

إذ الأصل: وظلها دائم، فحذف الاسم (دائم): خبر المبتدإ ظلها.

4-ب-2-2-حذف الفعل:

في قول العرب: كِلَيْهِمَا وَتَمْرًا

أصل الكلام: أعطني كليهما وزدني تمرا، فحذف الفعل(أعطني)، والفعل(زدني).

4-ج-الزّيادة:

يقصد بالزّيادة تلك الإضافة إلى مبنى الجملة النّواة[45](حليمة أحمد عمايرة،2006)، وتشمل هذه الزّيادة العناصر التّاليّة:

4-ج-1-ما يضاف إلى الجملة من كلمات: يضاف إلى الجملة كلمات يعبر عنها النّحاة بالفضلات، ويعبر عنها البلاغيون بالقيود، ومنها: الحال، والصّفة والتّوكيد.

4-ج-2-ما يدخل على الجملة الاسميّة والفعليّة: تدخل على الجملة الاسميّة والفعليّة أدوات، فتؤدي هذه الجملة معنى جديدا، كأدوات النّفي التي تدخل على الجملة التّوليديّة لنفي الحكم، وأدوات التّوكيد التي تؤكد المسند أو المسند إليه

وأدوات الاستفهام التي يسأل بها عن الحكم، وأدوات التّعجب والتّنبيه، وغيرها فنحصل على جملة تحويليّة تفيد معنى غير المعنى الذي كانت تفيده من قبل[46](خليل أحمد عمايرة،1984)، كما نوضحه في المثال التّالي:

لم ينجز الطّالب البحث.

هل ينجز الطّالب البحث؟

لينجزنّ الطّالب البحث.

هذه الجمل الثّلاث هي فروع من أصل واحد هو جملة: ينجز الطّالب البحث.

فالجملة الأولى: نقلت المعنى من الإثبات إلى النّفي.

والجملة الثّانيّة: نقلت المعنى إلى الاستفهام.

والجملة الثّالثّة: أكّدت المعنى.

4-ج-3-الزّيادة بإعادة لفظ المؤكد أو بالضّمير المنفصل:

مثل قوله تعالى: ﴿**إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا**﴾ الفجر21، حيث تكرر اللفظ (دكًّا) ليفيد معنى التّوكيد.

وقوله تعالى: ﴿**اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ**﴾ البقرة35، حيث زيد الضّمير (أنت) لإفادة التّوكيد[47](أحمد المهدي المنصوري و أسمهان الصّالح،2013).

4-د-الاستبدال: وهو: "إمكانيّة لإقامة وحدة لغويّة أو وحدة إسناديّة مقام وحدة لغويّة أو وحدة إسناديّة أخرى لغرض دلالي"[48](رابح بومعزة،2008)، و"التّحويل بالاستبدال يشمل كل الوحدات الإسناديّة الوظيفيّة المؤديّة وظائف المبتدأ والخبر والفاعل ونائب الفاعل والمفعول به والنّعت والحال والمضاف إليه والمستثنى، فهي كلها استبدلت بمفرد يرتد إلى مصدر مشتق"[49](رابح بومعزة، 2008).

يتضح التّحويل بالاستبدال في اللغة العربيّة في الجمل التي لها محل من الإعراب، والمصدر المؤول، ونمثل لها بالأمثلة التّاليّة:

-قوله تعالى: ﴿**سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا**﴾ إبراهيم 21.

سواء: خبر مقدم، وجملة (جزعنا) وقعت محل رفع مبتدإ مؤخر، والأصل (البنيّة العميقة): سواء علينا الجزع أم الصّبر.

-قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ**﴾ الزّمر23.

الجملة الفعليّة (نزّل) المكونة من الفعل والفاعل واقعة في محل رفع خبر للمبتدإ وبنيتها العميقة: الله منزّل[50](رابح بومعزة،2008).

-قوله تعالى: ﴿**وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾ البقرة 184.

(أن تصوموا): جملة فعليّة مصدريّة في محل رفع مبتدأ، وبنيتها العميقة هي المصدر المؤول: صومكم[51](رابح بومعزة،2008).

4-هـ-الحركة الإعرابيّة: يتم بها تحويل الجملة التّوليديّة عن أصل افتراضي كانت عليه للإخبار مثلا، إلى جملة تحويليّة لإفادة دلالة جديدة، فإذا قال المتكلم: الأسدُ (بالضّمة)، فإنّ السّامع يدرك أنه قد أراد نقل خبر إليه، وإن قال: الأسدَ (بالفتحة)، فإنّ المعنى يتغير إلى معنى التّحذير، الذي هو في ذهن المتكلم، وينوي الإفصاح عنه.

إنّ تغيير الحركة الإعرابيّة (تغيير في المبنى)، ترتّب عن تغير في الصّورة الذّهنيّة الكامنة في ذهن المتكلم (تغيير في المعنى)[52](خليل أحمد عمايرة،1984).

4-و-النّبر والتّنغيم: للنّبر دور في مبنى بعض الكلمات في بعض اللغات وفي معناها أيضا، ويكون بتقويّة صوت في كلمة معينة ليرتفع على غيره من أصوات الكلمة ذاتها[53](خليل أحمد عمايرة،1984)، وهو -النّبر-سمة تمييزيّة في اللغة الإنكليزيّة مثلا؛ إذ النّبر على الصّوت الأول في الكلمة يدل على فعليتها، والنّبر على الصّوت الأخير منها يدل على أنّ هذه الكلمة اسم.

أمّا النّبر على الكلمات في الجملة، أو على كلمة واحدة في الجملة لإظهارها على بقيّة كلمات الجملة، فإنّه يكون نبرا سياقيا دلاليا يسمى: التّنغيم، ولا يكون التّنغيم في الجملة إلا لمعنى، فإذا قال قائل: حضر عليّ، فإن الغرض من الجملة يختلف باختلاف الكلمة التي ينبرها المتكلم؛ فإن نبر على (حضر)، فإنّه يود أن يؤكد الحدث، وإذا نبر على (علي)، فإنّه يؤكد حضوره دون غيره[54](خليل أحمد عمايرة،1984)، وغالبا ما نعبر بنفس تركيب الجملة عن التّقرير وعن الاستفهام غير أنّ الفارق بيهما هو التّنغيم.

خاتمة: بعد الثّورة التي فجرها دي سوسير في مجال البحث اللغوي باهتدائه إلى نظريّة في اللغة؛ مثلت أساسا متينا للنظريات المتعاقبة التي تلتها؛ إمّا شرحا وتفسيرا

أو نقدا وتعديلا، ظهرت التّوليديّة التّحويليّة نظريّة جديدة للغة؛ رفضت الوصفيّة السّوسيريّة؛ ذات المرجعيات الفلسفيّة السّلوكيّة، وتبنّت الفلسفة العقليّة مرجعا فكريا لها.

لم تختلف النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة في آليات تطبيقها على الجملة اختلافا بيّنا عن تطبيقات النّحاة العرب، بل اقتربت منها كثيرا، لحدّ إحالة تفكيرنا إلى قضيّة التّأثير والتّأثر بين النّحوين العربي والغربي، ودفعت الباحث إلى محاولة مقاربة الجملة العربيّة مقاربة لسانيّة في ضوء النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة لتشومسكي.

نتج عن هذا البحث النّتائج التّاليّة:

1- منهج النّحاة والبلاغيين العرب في تناول الظّاهرة اللّغويّة، يكاد يطابق منهج تشومسكي التّوليدي التّحويلي، من خلال افتراضهم بنيّة عميقة وبنيّة سطحيّة دون الإفصاح عن هذين المصطلحين، بل عبّروا عنهما بما يقوم مقامهما، من الأصل والفرع.

2- الإجراء التّطبيقي الذي ميّز النّحو العربي على الجملة العربيّة، من حذف وتقديم وتأخير وزيادة، وغيرها، ما هو سوى تطبيق لقوانين تحويليّة، هي من مبادئ النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة.

3- يمكننا التّأصيل للمصطلحات الغربيّة (التّوليد، التّحويل، البنيّة العميقة، البنيّة السّطحيّة...) في الدّرس النّحوي العربي.

4- حاجة متعلّم اللغة العربيّة إلى هذا المنهج التّوليدي التّحويلي كآليّة من آليات التيسير النّحوي.

مكتبة البحث:

مصحف القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

المصادر العربيّة:

1- ابن عقيل بهاء الدّين عبد الله: شرح ابن عقيل لألفيّة ابن مالك، تح: محمّد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان، دط، القاهرة-جمهوريّة مصر.

2- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: محمود محمّد شاكر مكتبة الخانجي، دط.

المراجع العربيّة:

3- حسام البهنساوي: القواعد التّحويليّة في ديوان حاتم الطّائي، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، دط.

4- حليمة أحمد عمايرة: الاتجاهات النّحويّة لدى قدماء العرب في ضوء المناهج المعاصرة، دار وائل للنشر، الأردن، ط1، 2006م.

5- خليل أحمد عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق)، دار المعرفة للنشر، جدة-المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1984م.

6- رابح بومعزة: التّحويل في النّحو العربي، عالم الكتب الحديث، الأردن ط1، 2008م.

7- شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانيّة المعاصرة، أبحاث للترجمة والنّشر، بيروت-لبنان، ط1، 2004م.

8- عبده الرّاجحي: النّحو العربي والدّرس الحديث، دار النّهضة العربيّة للطباعة، بيروت، دط، 1986م.

9- محمّد حماسة عبد اللطيف: من الأنماط التّحويليّة في النّحو العربي مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ط1، 1990م.

10- محمّد علي الخولي: دراسات لغويّة، دار الفتح للنشر والتّوزيع صويلح-الأردن، دط، 1998م.

11- محمّد علي الخولي: قواعد تحويليّة للغة العربيّة، دار الفلاح للنشر الأردن، ط1999م.

12- ممدوح عبد الرّحمن: من أصول التّحويل في النّحو العربي، دار المعرفة الجامعيّة، مصر، ط1999م.

13- ميشال زكريا: الالسّنيّة التّوليديّة التّحويليّة (الجملة البسيطة)، المؤسّسة الجامعيّة للنشر والتّوزيع، بيروت-لبنان، ط2، 1986م.

المجلات والدّوريات:

14- أحمد المهدي المنصوري وأسمهان الصّالح: (النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة وتطبيقاتها في النّحو العربي)، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدّراسات، العدد29، فيفري 2013م.

15- مازن الوعر: (تشومسكي)، مجلة الموقف الأدبي، العددان 212-213، ديسمبر 1988.

16- مختار درقاوي: (نظريّة تشومسكي التّحويليّة التّوليديّة الأسس والمفاهيم)، مجلة الأكاديميّة للدراسات الاجتماعيّة والإنسانيّة، العدد 12، جوان 2014م.

المراجع الأجنبيّة:

Jean Dubois et autre: dictionnaire de linguistique, Paris 17.Larousse,1994

الهوامش:

[1]ينظر: حسام البهنساوي: القواعد التّحويليّة في ديوان حاتم الطّائي، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، دط، ص71.

[2]ينظر: عبده الرّاجحي: النّحو العربي والدّرس الحديث، دار النّهضة العربيّة للطباعة بيروت، دط، 1986م، ص112.

[3]ينظر: عبده الرّاجحي: المرجع نفسه، ص111-112.

[4] Jean Dubois et autre: dictionnaire de linguistique, Paris Larousse,1994, p131.

[5]ينظر: مازن الوعر: (تشومسكي)، الموقف الأدبي، العددان 212-213، ديسمبر 1988، ص63.

[6]ينظر: مختار درقاوي: (نظريّة تشومسكي التّحويليّة التّوليديّة الأسس والمفاهيم) الأكاديميّة للدراسات الاجتماعيّة والإنسانيّة، العدد 12، جوان 2014م، ص6-8.

[7]شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانيّة المعاصرة، أبحاث للترجمة والنّشر بيروت-لبنان، ط1، 2004م، ص44.

[8]شفيقة العلوي: المرجع نفسه، ص44.

[9]خليل أحمد عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق)، دار المعرفة للنشر جدة–المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1984م، ص58.

[10]خليل أحمد عمايرة: المرجع نفسه، ص59.

[11]شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانيّة المعاصرة، ص53.

[12]شفيقة العلوي: المرجع نفسه، ص47.

[13]ميشال زكريا: الالسّنيّة التّوليديّة التّحويليّة (الجملة البسيطة)، المؤسّسة الجامعيّة للنشر والتّوزيع، بيروت–لبنان، ط2، 1986م، ص13.

[14]ينظر: ميشال زكريا: المرجع نفسه، ص13.

[15]محمّد علي الخولي: قواعد تحويليّة للغة العربيّة، دار الفلاح للنشر، الأردن ط1999م، ص6.

[16]ميشال زكريا: الالسّنيّة التّوليديّة التّحويليّة (الجملة البسيطة)، ص17.

[17]ينظر: محمّد علي الخولي: قواعد تحويليّة للغة العربيّة، مرجع سابق، ص8–9.

[18]ينظر: رابح بومعزة: التّحويل في النّحو العربي، عالم الكتب الحديث، الأردن ط1 2008م، ص45.

[19]ينظر: شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانيّة المعاصرة، ص58.

[20]ينظر: خليل أحمد عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق)، ص59.

[21]ينظر: محمّد علي الخولي: دراسات لغويّة، دار الفتح للنشر والتّوزيع، صويلح–الأردن، دط، 1998م، ص61.

[22]ينظر: محمّد علي الخولي: المرجع نفسه، ص62.

[23]ينظر: حليمة أحمد عمايرة: الاتجاهات النّحويّة لدى قدماء العرب في ضوء المناهج المعاصرة، دار وائل للنشر، الأردن، ط1، 2006م، ص55.

[24]ينظر: حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النّحويّة لدى قدماء العرب في ضوء المناهج المعاصرة، ص54.

[25] ينظر: حليمة أحمد عمايرة، المرجع نفسه، ص54.

[26] ينظر: حليمة أحمد عمايرة، المرجع نفسه، ص228.

[27] ينظر: حليمة أحمد عمايرة، المرجع نفسه، ص236.

[28] ينظر: حليمة أحمد عمايرة، المرجع نفسه، ص220.

[29] ينظر: حسام البهنساوي: القواعد التّحويليّة في ديوان حاتم الطّائي، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، دط، ص100.

[30] ينظر: حسام البهنساوي، المرجع نفسه، ص100.

[31] ينظر: رابح بومعزة: التّحويل في النّحو العربي، ص54.

[32] ينظر: عبده الرّاجحي: النّحو العربي والدّرس الحديث، ص143.

[33] ينظر: محمّد حماسة عبد اللطيف: من الأنماط التّحويليّة في النّحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة–مصر، ط1، 1990م، ص43.

[34] ينظر: ممدوح عبد الرّحمن: من أصول التّحويل في النّحو العربي، دار المعرفة الجامعيّة، مصر، ط1999م، ص104.

[35] عبده الرّاجحي: النّحو العربي والدّرس الحديث، ص148.

[36] محمّد علي الخولي: دراسات لغويّة، ص61.

[37] ينظر خليل أحمد عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها، ص134.

[38] ابن عقيل بهاء الدّين عبد الله: شرح ابن عقيل لألفيّة ابن مالك، تح: محمّد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان، دط، القاهرة–جمهوريّة مصر–ج1، ص137.

[39] محمّد علي الخولي: دراسات لغويّة، ص62.

[40] محمّد حماسة عبد اللطيف: من الأنماط التّحويليّة في النّحو العربي، ص30.

[41] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: محمود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي دط، ص68.

[42] ينظر: خليل أحمد عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها، ص94.

[43] عبد القاهر الجرجاني: مصدر سابق، ص117.

[44] عبد القاهر الجرجاني: المصدر نفسه، ص162.

[45] ينظر: حليمة أحمد عمايرة: الاتجاهات النّحويّة لدى قدماء العرب في ضوء المناهج المعاصرة، ص229.

[46] ينظر: خليل أحمد عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها، ص101.

[47] ينظر: أحمد المهدي المنصوري وأسمهان الصّالح: (النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة وتطبيقاتها في النّحو العربي)، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدّراسات العدد29، فيفري 2013م، ص335–336.

[48] رابح بومعزة: التّحويل في النّحو العربي، ص60.

[49] رابح بومعزة: المرجع نفسه، ص60.

[50] ينظر: رابح بومعزة: المرجع نفسه، ص93.

[51] ينظر: رابح بومعزة: المرجع نفسه، ص61.

[52] ينظر: خليل أحمد عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها، ص171.

[53] ينظر: خليل أحمد عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها، ص173.

[54] ينظر: خليل أحمد عمايرة: المرجع نفسه، ص174.